

البداية والنهاية

تحن على حنين الجارية وما الذي نهيتني عنه فعصيتك فقال ألم آمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لئلا يقتل وأنت بها فيقول قائل أو يتحدث متحدث ألم آمرك أن لا تباع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر ببيعتهم وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصلحوا فعصيتني في ذلك كله فقال له علي أما قولك أن أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به وأما مبايعتي قبل مجيء بيعة الأمصار فكرهت أن يضيع هذا الأمر وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهبوا إليه فتريد مني أن أكون كالضبع التي يحاط بها ويقال ليست هاهنا حتى يشق عرقوبها فتخرج فإذا لم أنظر فيما يلزمني في هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه فكف عني يا بني ولما انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة من الأمر الذي قدمنا كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر إنني قد اخترتكم على الأمصار فرغبت إليكم وفرغت لما حدث فكونوا لدين الله أعوانا وانصارا وانهضوا إلينا فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانا فمضيا وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب وقام في الناس خطيبا فقال إن الله أعزنا بالإسلام ورفعنا به وجعلنا به إخوانا بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد فجرى الناس على ذلك ما شاء الله الإسلام دينهم والحق قائم بينهم والكتاب إمامهم حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة ألا وإن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها فنعود بالله من شر ما هو كائن ثم عاد ثانية فقال إنه لا بد مما هو كائن أن يكون ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة شرها فرقة تحبني ولا تعمل بعلمي وقد أدركتم ورأيتم فالزموا دينكم واهتدوا بهدني فإنه هدى نبيكم واتبعوا سنته وأعرضوا عما أشكل عليكم حتى تعرضوه الكتاب فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه وأرضوا بالله ربا وبالاسلام ديننا وبمحمد نبيا وبالقرآن حكما وإماما قال فلما عزم على المسير من الربذة قام إليه ابن أبي رفاعة بن رافع فقال يا أمير المؤمنين أي شيء تريد وأين تذهب بنا فقال أما الذي نريد وننوي فالإصلاح إن قبلوا منا وأجابوا إليه قال فإن لم يجيبوا إليه قال ندعهم بغدرهم ونعطيهم الحق ونصبر قال فإن لم يرضوا قال ندعهم ما تركونا قال فإن لم يتركونا قال امتنعنا منهم قال فنعم إذا فقام إليه الحجاج بن غزية الأنصاري فقال لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول والله لينصرنى الله كما سمانا أنصارا قال وأتت جماعة من طيء وعلى الربذة فقبل له هؤلاء جماعة جاؤا من طيء منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد السلام عليك فقال جزى الله كلا خيرا وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما قالوا فسار علي من الربذة على تعبئته

وهو راكب ناقة حمراء يقود فرسا كميتا فلما كان يفيد جاءه جماعة من أسد